

إلى المهاجر الذي أعاد البشرية إلى وطنها

ماجد عزمي

مرسالة من أسيوط، حيث استقرت العائلة المقدسة في هجرتها القسرية

الطرق
وصار لك في مدينتنا مكان ومكانة
علمنا الأجداد أن نسعى في شهر أغسطس إلى حيث مغارتك
في الجبل
لنزورك ونتذكر قدومك إلينا هرباً من بطش العالم
وعلمونا أيضاً في الكنائس التي ارتفعت على اسمك
أن نسعى إليك في كل يوم أيضاً هرباً من بطش العالم
في مدينتنا بيوت كثيرة يرتفع فيها تسيحك وبخور خدماتنا
لشخصك
وفي مدينتنا أيضاً سالت دماء شهداء اختاروك مثلما يوماً
اخترتهم
يا سيدي
لا تزال حياتنا صعبة
رفاق يوسف النجار يلهثون وراء ما يسد جوع أسرهم
ورقيقات المطوبة يغسلن آنيتهن وهن يثرثن عسى الحديث
يريح القلوب
أما أطفالنا، فيكفيهم أنك كنت رفيقهم ذات يوم
وأنك حين أمرت تلاميذك يوماً قائلاً: «دعوا الأولاد يأتون إليّ
ولا تمنعوهم»
كان أطفال مدينتنا في ذاكرتك
يا سيدي، مدينتنا لا تزال تنتظر زيارتك
للقلوب هذه المرة
لتمنحنا السلام ذاته والبركة ذاتها
فنحن ما زلنا أطفالاً في دواخلنا
ولا يزال كثير من محبيك يمنعونا من القدوم إليك
نشكرك على زيارتك الأولى
وننتظرك
فأسيوط لها من قلبك سلام
حفظها عبر السنين
ولا يزال يحفظها رغم الأنين

يا سيدي المسيح
يا سيد الأكوان والخلائق
قبل سنين
ارتعب ملك متسلط من نبوءة أخبره بها مجوس الشرق
عن طفل صغير
مولود حديثاً
سيصير ملكاً ذات يوم
فأمر الملك بقتل جميع الأطفال
إلا أن طفلنا الطفل الصغير هرب مع عائلته المقدسة وجاء
إلى مدينتنا
كنت أنت، يا سيدي المسيح، هذا الطفل
يومها وطأت قدمك في رحلة العائلة المقدسة تراب مدينتنا
أسيوط
فاختلط هواؤها بأنفاسك
ولمس نيلها جسدك الرقيق
إلى مغارة الجبل أويت مع العذراء مريم ويوسف النجار
منذ ذلك اليوم، لم تعد مدينتنا كما كانت من قبل
من يوم زيارتك لنا ثمّة شيء تغير في سماء المدينة
لقد باركتها
حين لعبت مع أطفال المدينة وملأت هواءها ضحكاً
وحين كانت المطوبة تغسل آنيتها مع جدّاتنا
وتحكي لهنّ عن أشجار الزيتون في بيت لحم والهواء
البارد
ضحكت نساء مدينتنا غير مصدقات بسبب اعتيادهنّ هجير
الصيف والجبل
وعند تعامد شمس الظهيرة، كانت المطوبة تدعوك للدخول
إلى المغارة
خوفاً من شمس الصيف التي لا ترحم
فتودّع رفاق اللعب إلى حين
يا سيدي المسيح، أصبح رفاق اللعب أجداداً لنا
ولا تزال شمس الظهيرة تلهب رؤوسنا وتطردنا من